حاولنا الهرب إلى أسطنبول

- صداقة.. وصديق...
- عشرة جنيهات فقط...
- لماذا لم ننسف السفارة البريطانية
- فدائيون فى الجيش.. وفدائيون فى الشعب!
- متى نضعف..؟
- جمال يعود...

www.anwarsadat.org

مرت حياتنا كتشكيل منظم بفترة ركود نسبى طويلة، فعلى الرغم من عودة جمال عبد الناصر من السودان، ألا أنه وجد من الخير للتشكيل وللثورة، ألا يعاود العمل المنظم الفعلى آلا بعد أن تستكمل لهذا العمل أسباب النجاح، وكل وسائله..

وقد جاءت هذه الأسباب واكتملت الوسائل بعد بضع سنوات.. وعندما بدأت أعمال وخطط منظمة وصلت إلى غايتها يوم 23 يوليو 1952..

ومع ذلك، فقد كانت هناك اتصالات، وكانت هناك ألوان من النشاط فى نفس الفترة التى تلت اعتقالى، وسبقت نقطة البدء التى حددها جمال..

مدة كانت فترة ركود، ولكنها لم تخل من عمل.. ومن تفكير فى عمل...

عندما أتذكر اليوم تلك السنوات التى اتصلت فيها بحسن ألبنا، قبل اعتقالى، يأخذنى كثير من العجب للفتات كان ــ رحمه الله ــ يلتفتها فى وقت لم يكن مثلها يخطر لى ببال.

لقد كان الرجل بعيد النظر، وكان يتوقع كل شئ...

وأنا أتذكر اليوم، كم ألح على حسن ألبنا أن أذكر له أسما واحدا من أسماء زملائى، ليتصل به أن حدث أن عاقنى شئ عن الاتصال به.

وكنت أنزعج لهذا السؤال، وكنت أتهرب من الإجابة عليه، فقد كان متفقا بينى وبين أخواتى أن أظل أنا وحدى، الضابط الوحيد من التشكيل المعروف لمرشد الأخوان.

ولكنه ألح.. وألح كثيرا...

وفى مرة أحرجنى، فأطلت التفكير.. ثم اخترت أن أذكر له أسم عبد المنعم عبد الرؤوف...

ولا أذكر على التحديد لماذا اخترت عبد المنعم.. وكل ما أستطيع اليوم أن أذكره من أفكار ذلك الماضى البعيد الحافل بالمثيرات، هو أنى اخترت هذا الزميل، ربما لانه كان أول من أنضم إلى تشكيلنا عقب عودتنا إلى القاهرة فى عام 1949.

ولم يعلن حسن ألبنا بشئ عندما ذكرت له اسم عبد المنعم، وأنما لزم الصمت والحرص اللذين لونا حياته حتى فارق هذه الدنيا، بحادث اغتياله المشهور..

ولكنى عندما قابلته أول مرة بعد ذلك، ذكر لى أسم عبد المنعم وأثنى عليه طويلا.. ثم أخذ يسرد لى تفاصيل كثيرة من تاريخ عائلة عبد المنعم وحياته وبيته..

وفهمت أن صلة ما قد وجدت بين أسرة عبد المنعم، وبين مرشد الأخوان، وأنها صلة قديمة، وأنها صلة معرفة وصداقة وبيئة، فقد كان جد عبد المنعم شيخا للأزهر. كما أن عائلته كلها كانت معروفة بالدين والتقوى.

وامسك حسن ألبنا عن ذكر عبد المنعم بعد ذلك، حتى ظننته نسيه.!

ثم كان القبض على عزيز المصرى وكان الإفراج عنه، ولم يشر حسن ألبنا أبدا...

صداقة.. وصديق

وعندما أفرج عن عبد المنعم وكنت أنا إذ ذاك طليقا لم يقبض على فقد أفرج عنه مع الفريق عزيز المصرى فى مارس عام 1942، ولم يقبض على أنا ألا فى أغسطس من ذلك العام.. عندما أفرج عنه، لم أشأ أنا أن أتصل به فى شئ، كنت أخشئ عليه أن تثور حوله شكوك جديدة.. وكنت أريد له فترة من الراحة بعد المحاكمة والسجن والاعتقال..

ولكن يبدو أن عبد المنعم أساء فهمى حينذاك، فقد غضب فى نفسه وتضايق.. وعرفت ذلك فيما بعد.

وجاء اليوم الذى قبض فيه على وقبض فيه على عزيز المصرى مرة أخرى.. ولم أكن إذ ذاك على صلة بعبد المنعم، ولا على شبه صلة به.

وكان آخر شئ أفكر فيه هو أن ينشط عبد المنعم بمجرد اعتقالى ليقوم بما قمت به، لفكرتنا، وليقوم بواجبات أخرى يكلف بها نفسه..لشخصى...

أنها الصداقة التى آمنت بها دائما.. هى التى دفعته أن ينهض فورا بعبء كنت أنهض به.. ثم يفاجئنى مفاجأة أخرى..

عشرة جنيهات

كنت قد نقلت إلى معتقل المنيا.. وكنت أذود عن نفسى هم التفكير فى العالم الخارجى، بالقراءة الكثيرة أقطع بها وقتى...

وكان هم التفكير فى خارج المعتقل هما ثقيلا، مثيرا للنفس باعثا للكابة.. والجنون.

فمثلى فقير لا يملك غير عمله.. وذو زوج وأولاد.. يعيش فى المعتقل لا يعرف لاهله معينا، غير الذى خلقه واخلقهم.

وفى طريقى اليومي إلى مكتبة المعتقل التقيت بالمرحوم الشهيد يوزباشي محمد وجيه خليل، الذى استشهد فى حرب فلسطين، وكان من دفعتى ومن دفعة عبد المنعم عبد الرؤوف.

وينتحى بى الصديق ناحية ليسر فى آذني أن التشكيل قد رتب لعائلتى عشرة جنيهات فى كل شهر، وأنه جاء لكى يطمئنى بعد أن عزت على الجميع زيارتى..

متى نضعف؟

وكانت هذه العاطفة الصادقة من زملائى هى أسمى ما يمكن أن يشعر به مثلى فى ظلمة الاعتقال.

فقد يعرف الذين زاولوا الكفاح من اجل فكرة أنهم لا يضعفون أمام الموت ولا يضعفون أمام السجن ولا يضعفون أمام التعذيب، وقد يخيل إليهم فى لحظات الحماس والانفعال أنهم لن يضعفوا أمام شئ فى الوجود.. ولكنهم فى هذا واهمون.. فهناك الشئ الذى يضعفون أمامه، والذى لا يملكون حياله شيئا ألا الفرار.. الفرار من الواقع، والفرار من التفكير وتحيل الجبار وهما ضعيفا يكاد يستسلم ويكاد يستغيث لولا كبرياء الكفاح، ويقظة الفكرة المتأصلة فى نفسه ومثالية الهدف..

ولعلك عرفت الآن، ما هو هذا الشئ الذى يضعف أمامه المجاهدون...وأنه الولد، الطفل.. العيال!

هؤلاء الصغار الودعاء، الذين تدفعهم دفعا إلى مرارة الكفاح، وتأخذهم أخذ على الصبر والحرمان والتقشف، ولما يبرحوا بعد مهاد الطفولة، ولما يعرفوا بعد مراح الصبا...

هؤلاء هم نقطة الضعف فينا.. وهى نقطة ضعف اعترف بها، ولا تخجلنى.. لاننى أن أنسأن!

وقد كنت احتمل أن يحرم أطفالنا من رعاية أبيهم... ولكنى ما كنت أصبر على حرمانهم من ضرورات الحياة.

وكانت هذه الجنيهات العشرة، هى العون الوحيد الذى أقبله لاطفالى لأنها لم تصدر عن عطف ولا إشفاق. وأنما صدرت عن فكرة مشتركة وتكافل بين مكافحين...

وبدأت أنسى هم الحياة الوثيقة بى خارج المعتقل.. وبدأت أفكر فى خطوط المستقبل، وخطوات الجهاد.

وكان مجرد تفكير نظرى، تنقصه حكمة الواقع، ودراسة الطبيعة.

وكان أهم ما يشغلنى هو أن أخرج من هذا المعتقل، ولكنى لم أكن قد حددت بعد، لماذا أخرج، أو ماذا أستطيع أن أصنع وأنا مطارد شريد!

إلى تركيا...

ويبدو أنى لم أكن وحدى الذى فكر فى هذا الأمر.. فقد فكر فيه عبد المنعم عبد الرؤوف فى نفس الوقت الذى كنت أنا أفكر فيه...

وفى جلسات متعاقبة مع بعض أعضاء التشكيل من سلاح الطيران، وكانوا من أكثر أعضاء تشكيلنا حماسة واندفاعا.. أخذ عبد المنعم يضع خطة لتهريبنا.. عزيز المصرى وأنا...

وكانت خطته تعتمد على عدد من المجازفات، ولم تكن خطة عملية على أى حال...

كانت خطته تقوم على الهجوم على المعتقل الذى يقيم فيه عزيز المصرى واختطافه اختطافا مسلحا من حرسه ليهرب عزيز من معتقله فيجد عربة فى انتظاره تحمله إلى المنيأ.

وكان الشق الثانى من الخطة مماثلا للشق الأول فهو قائم على الهجوم على معتقل المنيا واختطافى من هناك بالقوة لاهرب فأجد عبد المنعم فى أنتظارى.

أما الشق الثالث.. فكان قائما على أن تقوم طائرة من القاهرة لتهبط فى المنيا فى نفس الوقت الذى يصل فيه عزيز المصرى إليها، وأخرج أنا من المعتقل.

وكان الاتفاق أن تحملنا الطائرة فورا إلى سوريا.. أو إلى أسطنبول وكانت كفة الاراضى التركية هى الراجحة فى هذه الخطة، للموقف الذى كانت تركيا تتخذه من الحرب.

ولكنها ــ كما قلت ــ لم تكن خطة عملية.. فلو قدر لهذين الهجومين المسلحين أن ينجحا لما كان من السهل ضبط التوقيت فى العمليتين معا، بحيث لا تزيد مدة بقائى خارج المعتقل عن دقائق معدودة تحلق بنا الطائرة بعدها إلى خارج الحدود.

لم يكن هذا سهلا.. ولعل اسهل ما كان فى هذه الخطة هو الدور الخاص بسلاح الطيران.. فقد كان زملاؤنا الطيارون، أكثرنا اندفاعا وحماسا فى كل شئ.. وكنا نرجع ذلك دائما إلى طبيعة عملهم كطيارين كل حياتهم مغامرة مستمرة والى قوة أعصابهم التى تعتبر شرطا أساسيا فيمن يقبل فى هذا السلاح.

كان الجزء الخاص بالطائرة.. هو الجزء العملى الوحيد فى هذه الخطة، أما القسمان الآخران منها فكانا يحتويان على كثير من الثغرات الكافية لخلق متاعب جديدة لنا، كنا فى غنى عنها.

وكانت هذه الخطة هى خطة عبد المنعم وحده.. فقد كان التشكيل ــ كما ــ فى فترة من فترات الركود.

تطورات.. بالجملة!

ولكن هذه الفترة كانت تحوى تطورات كثيرة فى الحياة المصرية، وفى موقف العناصر المختلفة التى كانت ذات تأثير فى سياسة البلاد.

فقد أصبح للملك ــ مثلا ــ موقف جديد وتطورت نظرته إلى عرشه، وإلى شعبه وإلى مستقبله وإلى الإنجليز تطورا كبيرا..

هذا الملك الذى كان يمثل عنصرا من العناصر الوطنية حتى 4 فبراير 1942 والذى اعتبرناه فعلا رمزا لمصر.. واعتبرنا الاعتداء على قصره اعتداء على مصر.. وأردنا أن نثار له بإبادة الإنجليز.. قد تطور أو تغير.. ووضح لنا هذا التطور والتغير بصورة جعلتنا نضعه فى الصف الأول من صفوف الأعداء...

وأحمد ماهر.. الذى ملأ قلوبنا يوم أن وقف وقفته أمام الإنذار البريطاني فى عام 1942 والذى علقنا عليه أملا كبير يوم عاد إلى الحكم فى عام 1944.

لم يكد يستقر فى مقعد رئيس الوزراء حتى أصدر أمره بالإفراج عن جميع المعتقلين فورا.. ألا نحن .. فقد أصدر أمره ببقائنا فى الاعتقال وكان هذا الأمر بناء على" أمر" من الإنجليز ، ولا أقول بناء على طلب أو رغبة أو تفاهم!

وحسن ألبنا، الذى كان قد اصبح قوة رهيبة يخشاها الملك، ويعلن عن مخاوفه منها، بدأ يضع لنفسه سياسة جديدة يضمن بها القفز بحركة الأخوان المسلمين فى جو آمن من مقاومة القصر أو غدره.. وكان رحمه الله قديرا على إقناعنا بخطته، وعلى الإمساك بطرفى حبلين فى قبضته.

جمال يعود...

وفى هذا الوقت هربت أنا من المعتقل.. هربت فى نوفمبر 1944 أى بعد تأليف وزارة أحمد ماهر بشهر..

وكانت ظروف كثيرة متعاقبة...

ففى الوقت الذى انصرف فيه عبد المنعم عبد الرؤوف إلى الأخوان المسلمين انصرافا كليا. وفى الوقت الذى هربت أنا فيه من المعتقل، وبدأت أكافح لأعيش هاربا شريدا أقتات من عدد من الأعمال الغربية هنا وهناك متنكرا مستترا حتى ألغيت الأحكام العرفية عام 1945 فبدأت أظهر بوجهى فى هذا الوقت.. كان جمال عبد الناصر قد بدأ يتولى بنفسه أمر التشغيل داخل الجيش، لينظمه جديدا وليضع له خطة بعيدة المدى طويلة الأمد قائمة على فلسفة مدروسة واقعية.

وبدأت حركتنا تتخذ صورتين...

صورة داخل الجيش يرسمها ويكون عناصرها جمال عبد الناصر وصورة خارج الجيش توليت أنا أمرها...

وكان الغالب على الصورتين، روح فدائية، وكانت بين الصورتين صلات...

كنا قد بدأنا نعتمد على أنفسنا كل الاعتماد أثر أحداث وأحداث.

وكنا قد رسمنا خطتنا القريبة على أن ننشئ تشكيلا شعبيا وتشكيلا عسكريا، يعملان جنبا إلى جانب، كل بوسائله وكل بخططه، ولا يرتبط أحدهما بالآخر أى ارتباط ظاهر حتى تأتى اللحظة المناسبة لذلك.

ومر بنا تاريخ طويل... ووقعت أمام أعيننا هزات عنيفة

نسف السفارة...

وكنت أتعجل الخطى.. وكان جمال يتريث...

حتى أتى اليوم الذى شكلت فيه وزارة المرحوم النقراشى عقب مصرع المرحوم أحمد ماهر.. وذهب النقراشى إلى السفارة البريطانية فقابله كيلرن.. على سلم السفارة.

وكانت هذه القصة حديث مصر...

فقد كانت قصة بغيظه فاضحة.. ولم يكن فى البلاد مصرى واحد يحتمل سماعها، دون أن تفور الدماء فى عروقه ويهم بأى عمل يمكن أن يسمى من أعمل الجنون.. فقد كانت خلاصة هذه القصة أن النقراشى لم يكد يشير إلى مطالب مصر، حتى هز ذلك اللورد كتفيه فى استهتار وسخرية، وقال النقراشى، دعك من هذا الكلام.. فإن حديث الجلاء والوحدة ليس ألا حديث خرافة.

وكانت لطمة قاسية أردنا أن نردها

وذهبت إلى حمال.. وفى يدى خطة من التشكيل الشعبى، لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها.

واستمع لى جمال طويلا. وناقش خطتى مناقشة كاملة. وأقر كل أطرافها وعناصرها..

ولكنه فى آخر الأمر.. هز رأسه وقال:لا..

كان يستعرض فى ذهنه الإجراءات التى يستطيع الإنجليز اتخاذها عقب نسف سفارتهم وكان يستحضر فى ذهنه مصرع" لى ستاك" سردار السودان..

وقال: لا .. نحن لا نريد أن نعيد مأساة السودان التى وقعت منذ عشرين عاما..

وكان على حق.. فعشرون عاما فى عمر أمة مكافحة، ينبغى لها أن تغير من أساليب كفاحها بما تتضمنه من تجارب ومن دروس..

ولم تتم هذه الخطة.. ولكن بدا صراع من نوع آخر جديد..

هذا أجمال لفترة طويلة.. ولكن هل يكتفى القارئ منى بأجمال؟!..

أن للقارئ أن يسال عن موقف الملك وكيف تطور...

وله أن يسال عن موقف الأحزاب وكيف تطورت..

وله أن يسال عن موقف حسن ألبنا وكيف تطور وكيف تعاونا معه وكيف تعاون معنا.

وله أن يسال عن جمال عبد الناصر كيف بدأ خطوطه الجديدة.

وله أن يسال عن سر التشكيلين الفدائيين.. تشكيل الجيش وتشكيل الشعب وله أن يسال عن دور الأحرار فى معركة القنال...

وله أن يسال عن ثورة الأحرار فى نادى الضباط...

وله أن يسال عن خطة الأحرار التى اتبعوها بين صفوف الشعب...

وله أن يسال عن الترتيبات والظروف التى أخرت موعد قيام الحركة.!؟

له أن يسال عن كل هذا؟

www.anwarsadat.org